

قرآن الفجر (*)

مصطفى صادق الرافعي

كنتُ في العاشرةِ من سِنّي، وقد جمعتُ القرآنَ كلَّه حِفظاً وَجَوّدتُه بأحكامِ القراءةِ، ونحنُ يومئذٍ في مدينةِ (دَمَنْهور: عاصمةِ البُحَيْرة) وكانَ أبي - رحِمَه اللهُ - كبيرَ القُضاةِ الشرعيين في هذا الإقليم، ومن عادتِهِ أنه كانَ يعتكِفُ كلَّ سنةٍ في أحدِ المساجدِ عَشرةَ الأيامِ الأخيرةَ من شهرِ رمضانَ؛ يَدخلُ المسجدَ فلا يَبرحُهُ إلّا ليلةَ عيدِ الفطرِ بعد انقضاءِ الصوم، فهناكَ يتأمّلُ ويتعبّدُ ويتصلُ بمعناه الحقّ، وينظرُ إلى الزائلِ بمعنى الخالدِ، ويُطلُّ على الدنيا إطلالَ الواقفِ على الأيامِ السائرةِ، ويهجرُ ترابَ الأرضِ فلا يمشي عليه، وترابَ المعاني الأرضيةِ فلا يتعرضُ له، ويدخَلُ في الزّمنِ المتحرّرِ من أكثرِ قيودِ النفسِ. ويستقرُّ في المكانِ المملوءِ للجميعِ بفكرةٍ واحدةٍ لا تتغيرُ، ثم لا يرَى من الناسِ إلا هذا النوعَ المرطّبَ الروحَ بالوضوءِ، المدعوَّ إلى دخولِ المسجدِ بدعوةِ القوةِ الساميةِ، المُنْحنِي في ركوعِهِ ليخضعَ لغيرِ المعاني الذليلةِ، الساجدَ بين يدي ربّه ليُدركَ معنى الجلالِ الأعظمِ.

وما هي حكمةُ هذهِ الأمكنةِ التي تُقامُ لعبادةِ الله؟ إنّها أمكنةٌ قائمةٌ في الحياةِ تُشعِرُ القلبَ البشريَّ في نزاعِ الدنيا أنّهُ في إنسانٍ لا في بهيمةٍ.

* * *

وذهبتُ ليلةً فبتُّ عندَ أبي في المسجدِ؛ فلما كنّا في جوفِ الليلِ الأخيرِ أيقظني للسُّحورِ، ثم أمرَني فتوضّأتُ لصلاةِ الفجرِ وأقبلَ هوَ على قراءتِه؛ فلمّا كانَ السَّحَرُ الأعلى هتفَ بالدُّعاءِ المأثورِ «اللهمّ لكَ الحمدُ؛ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ؛ أنتَ بهاءُ السماواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ؛ أنتَ زينُ السماواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ؛ أنتَ قيّومُ السماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ ومَن عليهنَّ؛ أنتَ الحقُّ ومنكَ الحقُّ...» إلى آخرِ الدعاءِ.

وأقبلَ الناسُ ينتابونَ المسجدَ، فانْحدرْنا من تلكَ العِلّيّةِ التي يسمُّونَها (الدَّكّة) وجلسنا ننتظرُ الصلاةَ، وكانتْ المساجدُ في ذلكَ العهدِ تُضاءُ بقناديلَ الزَّيتِ، في كلِّ قنديلٍ ذُبالةٌ يرتعشُ النورُ فيها خافتاً ضئيلاً يَبصُّ بصيصاً كأنه بعضُ معاني الضوءِ لا الضوءُ نفسُه؛ فكانتْ هذهِ القناديلُ والظلامُ يرتجُّ حولَها، تلوحُ كأنها شقوقٌ مضيئةٌ في الجوِّ، فلا تكشفُ الليلَ ولكن تكشفُ أسرارَه

(*) من كتاب وحي القلم - الجزء الثالث - أنشأها قبل موته بثلاثة أشهر، فأعجلَ له بذكرِ قوليه وهو على أبوابِ آخرته.

KuwaitTeacher.Com

الجميلة. وتبدو في الظُّلمة كأنّها تفسيرٌ ضعيفٌ لمعنىً غامضٍ يومئُ إليه ولا يُبيّنُه، فما تشعرُ النفسُ إلا أنّ العينَ تمتدُّ في ضوئها من المنظورِ إلى غيرِ المنظورِ كأنها سرٌ يشفُّ عن سرٍّ.

وكانَ لها منظرٌ كمنظرِ النجومِ يُتمُّ جمالَ الليلِ بإلقائه الشُّغلَ في أطرافِه العُليا وإلباسِ الظلامِ زينتَه النُّورانيةَ؛ فكانَ الجالسُ في المسجدِ وقتَ السَّحَرِ يشعرُ بالحياةِ كأنّها مخبوءةٌ، ويُحسُّ في المكانِ بقايا أحلامٍ، ويسري حولَه ذلك المجهولُ الذي سيخرجُ منه الغدُ؛ وفي هذا الظلامِ النُّورانيِّ تنكشفُ له أعماقُه منسكباً فيها روحُ المسجدِ، فتعتريه حالةٌ رُوحانيةٌ يستكينُ فيها للقدرِ هادئاً وادعاً راجعاً إلى نفسه مجتمعاً في حَوَاسّه، منفرداً بصفائه، منعكساً عليه نورُ قلبِه كأنّه خرجَ من سلطانِ ما يُضيءُ عليه النهارُ، أو كأنّ تلك الظلمةَ قد طَمستْ فيه على ألوانِ الأرضِ.

ثم يشعرُ بالفجرِ في ذلكَ الغَبَشِ عندَ اختلاطِ آخرِ الظلامِ بأوّلِ الضّوءِ، شعوراً نديّاً كأنّ الملائكةَ قد هبطتْ تحملُ سحابةً رقيقةً تمسحُ بها على قلبِه ليتنضّرَ من يُبسٍ؛ وبرقٌ من غِلظةٍ، وكأنّما جاءوه معَ الفجرِ ليتناولَ النهارَ من أيديهم مبدوءاً بالرّحمةِ مفتتحاً بالجمالِ، فإذا كانَ شاعرُ النفسِ التقى فيه النورُ السماويُّ بالنورِ الإنسانيِّ فإذا هو يتلألأُ في روحه تحتَ الفجرِ.

* * *

لا أنسى أبداً تلك الساعة ونحنُ في جوّ المسجدِ، والقناديلُ معلّقةٌ كالنجومِ في مَناطِها من الفلكِ، وتلكَ السُّرُجُ ترتعشُ فيها ارتعاشَ خواطرِ الحبِّ، والناسُ جالسونَ عليهم وقارُ أرواحِهم، ومن حولِ كلِّ إنسانٍ هدوءُ قلبِه وقد استبهمتِ الأشياءُ في نظرِ العينِ ليلبسها الإحساسُ الرُّوحانيُّ في النفسِ، فيكونُ لكلِّ شيءٍ معناه الذي هو منه ومعناه الذي ليسَ منه، فيُخلَقُ فيه الجمالُ الشّعريُّ كما يُخلَقُ المنظرُ المتخيلُ.

لا أنسى أبداً تلكَ الساعة وقد انبعثَ في جوّ المسجدِ صوتٌ غَرِدٌ رخيمٌ، يشقُّ سُدفةَ الليلِ في مثلِ رنينِ الجرسِ تحتَ الأفقِ العالي وهوَ يرتّلُ هذهِ الآياتِ من آخرِ سورةِ النحلِ.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

KuwaitTeacher.Com

وكانَ هذا القارئُ يملكُ صوتَه أتمّ ما يملكُ ذو الصوتِ المطربِ، فكانَ يتصرّفُ به أحلى مما يتصرفُ القُمْريُّ وهوَ ينوحُ في أنغامِه، وبلغَ في التطريبِ كلَّ مبلغٍ يقدِرُ عليه القادرُ، حتى لا تعشرُ اللذةُ الموسيقيةُ بأبدعَ مما فشرها هذا الصوتُ، وما كانَ إلّا كالبلبلِ هزّتْهُ الطبيعةُ بأسلوبها في جمالِ القمرِ، فاهتزّ يُجاوبُها بأسلوبه في جمالِ التغريدِ.

كانَ صوتُهُ على ترتيبٍ عجيبٍ في نَغَماتِه: يجمعُ بين قوةِ الرِّقةِ ورِقّةِ القوةِ، ويضطربُ اضطراباً رُوحانياً كالحُزنِ اعتراه الفرحُ على فجأةٍ، يصيحُ الصيحةَ تترجّعُ في الجوّ وفي النفسِ، وتتردّدُ في المكانِ وفي القلبِ، ويتحوّلُ بها الكلامُ الإلهيُّ إلى شيءٍ حقيقيٍّ، يُلمَسُ فيرفَضُّ عليها بمثلِ الندى، فإذا هي ترِفُّ رقيقاً، وإذا هيَ كالزهرةِ التي مسحَها الطلُّ.

وسمِعنا القرآنَ غضّاً طريّاً كأوّلِ ما نزلَ به الوحيُ، فكانَ هذا الصوتُ الجميلُ يدورُ في النفسِ كأنّهُ بعضُ السّرّ الذي يدورُ في نظامِ العالمِ؛ وكانَ القلبُ وهوَ يتلقّى الآياتِ كقلبِ الشجرةِ يتناولُ الماءَ ويكسوها منه.

واهتزّ المكانُ والزمانُ كأنّما تجلّى المتكلّمُ سبحانَه وتعالى في كلامِه، وبدا الفجرُ كأنّه واقفٌ يستأذنُ اللهَ أن يُضيءَ من هذا النورِ.

وكنّا نسمعُ قرآنَ الفجرِ وكأنما مُحِيتِ الدُّنيا التي في الخارجِ من المسجدِ وبَطَلَ باطلُها، فلم يبقَ على الأرضِ إلا الإنسانيةُ الطاهرةُ ومكانُ العبادةِ، وهذهِ هيَ معجزةُ الروحِ متى كانَ الإنسانُ في لذّةِ روحِهِ مرتفعاً على طبيعتِه الأرضيةِ.

أمّا الطفلُ الذي كانَ فيَّ يومئذٍ فكأنما دُعِيَ بكلِّ ذلكَ ليحملَ هذه الرسالةَ ويؤدّيها إلى الرجلِ الذي يجيءُ فيه من بعدُ، فأنا في كلِّ حالةٍ أخضعُ لهذا الصوتِ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[1]؛ وأنا في كلِّ ضائقةٍ أخشعُ لهذا الصوتِ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2]!

نحليل موضع قرآن الفجر

التمهيد : لم سمى الموضوع بقرآن الفجر ؟

- لأنه هو الذي أثر فيه وترك بصماته في نفسه فجعله يكتب الموضوع ويعبر عما بداخله من مشاعر نحو القرآن والاستماع إليه .

هدف عام : استخلص الفكر الرئيسة من الموضوع .

أ- الاعتكاف والعبادة تطهر النفس من رواسب الدنيا .

معلمي الكويت
KuwaitTeacher.Com

ب- سماع القرآن وتدبر معانيه ينقل النفس إلى عالم روحاني .

١- بين المقصود بقرآن الفجر حسب سياقه في النص ، مستدلا.

- هو ما تلاه القارئ قبل صلاة الفجر ، وهذا من عادة أهل مصر ودأبهم.

(وكنا نسمع قرآن الفجر وكأنما محيت الدنيا التي في الخارج من المسجد)

إثرائي : أهمية المسجد في ضوء فهمها للنص :

- هو بيت الله ومكان العبادة والصلاة ,والذكر وقراءة القرآن والتعليم الشرعي.
- يعمق إيمان المسلم ويقوي الصلة بينه وبين المسلمين ويساعده على التأمل في خلق الله .
- يطمئن فيه المؤمن ويخشع لربه .

هدف عام : وضح هدف الكاتب من الموضوع :

- بيان أثر الاعتكاف والعبادة في سلوك المسلم .
- غرس قيم الطيبة في نفوس الأبناء .

إثرائي : ما أهم العادات والتقاليد التي عرضها الكاتب في الموضوع ؟

- الاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر من رمضان .
- - حفظ الأطفال القرآن الكريم وتجويده . * كثرة التردد على المساجد
- إيقاظ الآباء أبناءهم عند السحور * أداء صلاة الفجر في جماعة

إثرائي : وضح أثر الاعتكاف والتعبد ؟

- أنه يهب النفس صفاء ونقاء مما يجعلها تسمو على مستوى البشر العاديين .

الواجب : تخير الإجابة الصحيحة (المقصود بقرآن الفجر في النص.)

(قبل الفجر – بعد الفجر – في صلاة الفجر)

- انبعث صوت غرد رخيم تخيري معنى (رخيم) : (عالي – قوي – ضعيف – عذب)
- تخيري المناسب فيما يلي : جمع (الدنيا) : (الأدنى - الداني - الدنا – الدنو)

هدف عام : استدل من النص على الفكر التالية :

أ- الاعتكاف والعبادة تطهر النفس من رواسب الدنيا .

■ الدليل قوله كان أبي يعتكف كل سنة في أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان يتأمل ويتعبد ويتصل بمعناه الحق)

ب-سماع القرآن وتدبر معانيه ينقل النفس إلى عالم روحاني .

■ الدليل : قوله وكنا نسمع قران الفجر، وكأنما محيت الدنيا .... ، فلم يبق إلا الإنسانية الطاهرة ومكان العبادة؛ وهذه هي معجزة الروح .

٢- وضح ملامح البيئة التي نشأ فيها الكاتب ، وتأثيرها فيه .

الملامح : الاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر من رمضان .

- حفظ الأطفال القرآن الكريم وتجويده .
- كثرة التردد على المساجد .
- إيقاظ الآباء أبناءهم عند السحور .

KuwaitTeacher.Com

- أداء صلاة الفجر في جماعة

تأثيرها : حفظه للقرآن الكريم وتجويده – تردده على المسجد مع والده، واعتكافه بعض الوقت مع أبيه .

هدف عام : وضح القيم المستفادة من الموضوع ؟

- الحرص على قراءة القرآن وتدبر معانيه .
- تعويد الأبناء على الصلاة والعبادة .
- ضرورة التأمل في الكون .

٣- بين أثر سلوكيات الآباء في تربية أبنائهم .

- يقتدي الأبناء بالآباء في سلوكياتهم وعاداتهم فالكاتب حفظ القرآن وارتبط بالمسجد والقرآن فكان رجل الدين والأخلاق.

إثرائي : حدد أهم أساليب التأثير التي وظفها الكاتب في النص .

- ذكره لمواقف تربوية مؤثرة على الآباء والأبناء ,وصفه الدقيق للأماكن والمشاعر الروحانية.
- براعته البيانية والإنشائية , فقد استخدم الصور الفنية السرد القصصي، ولغته السهلة البسيطة .

٤- وضح مشاهد الاعتكاف مبينة عوامل الصفاء الروحي فيها .

- المشهد : المكوث في المسجد إلى ليلة العيد وعدم الخروج منه والتأمل والتعبد والذكر والدعاء.
- عوامل الصفاء : هجر الدنيا والانشغال بالآخرة، والخشوع والرهبة، والسكينة والهدوء والطمأنينة.

هدف عام : حدد المشاعر والإحساسات المسيطرة على النص :

- الشعور بالطمأنينة والراحة في هذا الجو الروحاني .
- الخشوع والإيمان بما يسمع من كلام الله .
- الإعجاب الشديد بصوت القارئ .

٥- بين الدلالات الشعورية المعنوية لاستخدام الكلمات المتضادة .

- (الزائل والخالد) – (المنظور وغير المنظور) – (النور والظلام) – (الليل والنهار) .

يبين الفرق بين الحياة الدنيوية وحياة المسجد التي تبعث في النفس الهدوء والسكينة .

- (قوة الرقة ، رقة القوة) - (الفرح ، الحزن) : يوضح جمال وروعة صوت القارئ .
- (آخر الظلام بأول الضوء) - (ليتنضر من يبس) - (ويرق من غلظة) :

يكشف ملامح ظهور الفجر يبعث في النهار الجمال و الروعة وفي النَّفس السكينة و الهدوء.

نشاط إثرائي : دلل على خبرة الشاعر الدينية من النص .

- إبراز العادات والتقاليد الإسلامية كالاعتكاف .

KuwaitTeacher.com

- إظهار مكانة المسجد في نفوس المؤمنين .
- حفظه للقرآن الكريم وتجويده جعله يستشهد بالآيات الكريمة.

٦- بين أثر الاستماع لقرآن الفجر في نفس الكاتب وسلوكه ، مستدلا .

- الأثر النفسي : لين القلب وصفاء الروح والسكينة والإعجاب بصوت القارئ والتفكر والتدبر في معاني القرآن .الدليل : أنه لم ينسى هذا القارئ والآيات رغم مرور السنوات .
- الأثر السلوكي : التمسك بتعاليم القرآن وجعلها منهج حياة . والدليل : حرصه على الصبر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

إثرائي : ما سبب خشوع الأديب لقول الله سبحانه وتعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله)

- توضح أن الله تعالى هو الملجأ الوحيد للمؤمن في الصبر على الشدائد

هدف عام : استخلص سمات شخصية الكاتب ، وأسلوبه .

- **ملامح شخصية الرافعي :**

حفظه للقرآن الكريم وتجويده . - طاعة الوالدين : الدليل عليه . - خبرته الدينية الواسعة.

- **سمات أسلوب الرافعي :**

عمق التصوير وبراعته . - التعبيرات القوية . - اختيار الألفاظ الجزلة المعبرة .

٧- وضح ملامح مشهد رسمه الكاتب ، مبينا دلالته .

أ- **مشهد : الناس ينتابون إلى المسجد وقت الفجر .**

ب- **ملامحه** : تناوب الناس - انتظار الصلاة - القناديل ترتعش بالضوء الخافت – الظلام يرتج .

دلالته : يدل على الحالة الروحانية تغمر النفس بالتفكر في أسرارها والقلب بالنور والسكينة والهدوء .

ب- مشهد قارئ القرآن .

- **ملامحه** : صوت غرد رخيم يرتل سورة النحل – يضطرب بين الرقة والقوة وبين الحزن والفرح - يتبدد ظلام الليل – يبزغ الفجر – يرتجف المكان بالجمال والجلال .
- **دلالته** : يدل على تأثير القرآن الذي يسري في الروح والنفس فيفصلها عن الدنيا لتحلق في لذة وروعة القرآن وجمال صوت القارئ.

بين معنى كلمة (بَرِح) في السياقات التالية :

الكلمة في سياقها	معناها
■ بَرِحَ الموظف الْمَكانَ مُنْذُ ساعَةٍ	غادره ، فارَقَه
■ ما بَرِحَ يَقْرَأُ في كِتابِهِ	ظَلَّ ، مازالَ
■ بَرِحَ الأمر الخفي .	وَضَحَ الأمْر
■ برِحتْ الرّهبةُ من صدور المجاهدين	زالَت

- **وضح معاني الكلمات الواردة في النص فيما يأتي:**

KuwaitTeacher.Com

الكلمة	معناها
أقبل الناس ينتابون المسجد	يقصدون
فتعريه حالة روحانية يستكين فيها	تهدأ – تطمئن
هادئا وادعا راجعا إلى نفسه	هَادِئٌ ، سَاكِنٌ ، مُطْمَئِنٌّ
فإذا هو يتلألأ في روحه	يشرق – ينير – يلمع
وقد استبهمت الأشياء	استغلقت – استعصت
انبعث صوت غرد رخيم	لين – رقيق – عذب
كالحزن اعتراه الفرح	أصابه – ناله
فيرفَض عليها بمثل الندى	سالَ وتفَرَّق

اذكر مفرد وجمع الكلمات التالية :

الكلمة	مفردها	الكلمة	جمعها
قناديل	قنديل	الدنيا	الدنا
شُعَل	شعلة	الأفق	الآفاق
		القمري	قُمْر

التصريف : هاتي تصريف كلمة (أثر) :

(أثر – مأثور – تأثير – آثار – إثارة – مؤثر – الإيثار)	
- ..... الرَّأيِ العَامِّ مهمة الإعلام	إثَارَةُ
- مازال ..... الجرح باقيا	أثر
- زَارَ الضُّيُوفُ ..... التَّارِيخيَّةَ	الآثارَ
- أحدث الشاعر.... بالغاً في الحاضرين	تأثيرا
- الأمثال الشعبية من الأقوال ...	المأثورة
- استمعت إلى برنامج	مؤثر

تخير الكلمة ذات الضبط الصحيح للسياقات التالية :

(كَلَّ – كُلّ)		
• ..... بَصَرُهُ	كَلَّ	ضعف
• ..... إنسان وعمله	كُلّ	جميع
• ..... الموظف من العمل	كَلَّ	تعب

KuwaitTeacher.Com